4ـ المحاضرة الرابعة:

ـ النقد التاريخي المغاربي:

يعمل الناقد الأدبي في المنهج التاريخي على تحديد العلاقة بين الأديب والمجتمع المحيط به، ومناقشة كل الأفكار والآراء التي تناولت العمل الأدبي.

أهم ميزات المنهج التاريخي في النقد الأدبي تأكيد صحة الأعمال الأدبية وصحة أصحابها المنسوبة إليهم، فهو حصيلة العلاقة القائمة بين التحليل ووسائل البحث والتدقيق.

تعود الإرهاصات الأولى للنقد التاريخي في أوروبا، وبالضبط في فرنسا إلى الفلسفة التي كانت تشتغل صوب المعرفة العلمية، التي أتى بها أوجست كونت (1798-1857) وإميل دوركهايم(1858-1917) والتي استبعدت كل تفكير لا يستمد عناصره الأولى من الحسّ والتجربة، فرفضت القضايا الميتافيزيقية، واهتمت بقضايا الحياة والمجتمع، فقد "شكّل القرن التاسع عشر، بالنظر إلى ما تمخض عنه من تقدّم علمي في ميادين العلوم الطبيعية، نقطة تحوّل في مسار الفكر الأوروبي. فقد اعترى مجموع الأفكار والمعتقدات والتقاليد التي توارثها المجتمع الأوروبي تحوّل جوهري عميق جعلت من أوروبا مجتمعا مختلفا، فقد بدأت الأبحاث العلمية تقتحم الميادين الفلسفية والأدبية، حتى صارت هذه الدراسات تأخذ بمناهج العلوم التطبيقية.[1] " ويعد النقد التاريخي: " ثمرة من ثمرات الدراسات العلمية التي صحبها نزعة للبحث عن أصول الأشياء، والتنقيب عنها، وتعليلها، لذا سعى هذا المنهج لتطبيق قوانين العلم الصرف على الأدب، وقد كان للتقدّم العلمي تأثير عميق في الدراسات النقدية، فاتجهت هذه الدراسات إلى التفسير والتحليل والبحث عن أصول تطوّرها'.'[2]

من رواده: سانت بيف (1828- 1893) وهيوليت شين (1828- 1893), وبرونتير (1949-1906) وغوشاف لانسون (1857- 1934), ورسيون بيكار. لقد شاع ربط النقد التاريخي بغوستاف لانسون ، وأصبح يعرف في فرنسا اللانسونية. لقد حدد لا نسون أسس

---

[1] -إبراهيم السعفين،خليل الشيخ, مناهج النقد الأدبي الحديث رقم 5344, منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1977،، ص35.

[2] - م ن، ص35.

وأبعاد وخطوات المنهج التاريخي في مقالة الشهيرة (منهج تاريخ الأدب) التي نشرها عام 1910.

ويتكئ النقد التاريخي: " على ما يشبه سلسلة من المعادلات السببية: فالنص ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته والثقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التاريخ، فإذا النقد تأريخ الأديب من خلال بيئة."[1]

ـ تلقي النقد العربي للنقد التاريخي الغربي.

تعد نهايات الربع الأول من القرن العشرين البداية الأولى للانطلاقة تلقي المنهج التاريخي في النقد العربي الحديث، ويأتي في مقدمة النقاد العرب، -الناقد الدكتور أحمد ضيف(1880- 1945)" الذي يمكن عده أول متخرج عربي في مدرسة لانسون الفرنسية, فهو أول أستاذ للأدب العربي أوقدته الجامعة المصرية الأصلية للحصول على الدكتوراه من جامعة باريس, وقد حصل عليها برسالة عن بلاغة العربي في الأندلس[2]" ومن النقاد العرب الذين تأثروا بالنقد التاريخي طه حسين(1890-1965)، وزكي مبارك(1893-1952)، وأحمد أمين(1886-1954).

وتتفق معظم الآراء النقدية حول هذا الموضوع على أن الناقد محمد مندور (1907-1965)، يمكن "عدّه الجسر التاريخي المباشر بين النقدين الفرنسي والعربي، فهو أول من أسس معالم اللانسونية في نقدنا العربي، حيث أصدر كتابه (النقد المنهجي عند العرب) مذيلا بترجمته لمقالة لانسون الشهيرة (منهج البحث في الأدب)، وكان ذلك في حدود سنة1946."[3]

هذا واحتضنت الجامعات العربية الدراسات النقدية التاريخية الغربية بفضل النقل والتجربة، والاحتكاك بالجامعات الغربية "ومنذ الستينيات، أخذ النقد التاريخي يزدهر

---

[1] - عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب, تونس,1994,ص79.

[2] -شكري محمد عياد, المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين, سلسلة عالم المعرفة, الكويت,عدد 177, سبتمبر1993,ص83

[3]- يوسف وغليسي, مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر،ط1 ،2007، ص19.

في كثير من الجامعات العربية على أيدي أشهر الأكاديميين العرب الذين تحوّلت أطروحاتهم الجامعية إلى معالم نقدية يقتفي آثارها المنهجية (التاريخية طلبتهم, ويتوارثها طالب عن أستاذ، حتى ترسخ المنهج التاريخي ورسم ترسيما أكاديميا (يوشك أن يبدو مطلقا!)، وأصبح من المجازفة الأكاديمية أن يفكر الباحث الجامعي في بديل لهذا المنهج[1] " ومن النخبة الأكاديمية التي اشتغلت في هذا الحقل:

- في مصر: شوقي ضيف, سير القلماوي, عمر الدسوقي.
- في سوريا: سكري فيصل,

ـ تلقي النقد المغاربي للنقد التاريخي

لقد أدرك النقاد المغاربة أهمية العلاقة التي تربط الأدب بالتاريخ, فالأدب يستمد مادته من صفحات التاريخ وصفا وتدوينا. فقد شكّل التاريخ بفواجعه ولحظات صعوده وانكساره مادة خصبة للأدب والشعر والفن, حتى أصبح الاثنان, فرعين في شجرة الحياة

" إن الأدب والتاريخ فرعان شجرة واحدة, فالتاريخ يحاول عبر بحثه عن تسجيل حوادثه اعتماد الحقيقة أحيانا والوثيقة في أحيان أخرى, بينما الأدب يعتمد التحليل وإعادة إنتاج ما جرى, في محاولة دائمة لإثارة الدهشة, والإجابة عن سؤال المصير, والسعي نحو المعرفة والتغيير عن القيم العليا, مثل: العدالة والحرية والجمال[2]".

ولو دققنا في الفروق الأساسية بين التاريخ والأدب، "فربما اتفق التاريخ والأدب في اشتراكهما في الخطاب الثقافي والأيديولوجي, لكن يطل اختلافهما الأساسي في الشكل وطرق المعالجة والبناء, والاستبصار, وفي نهاية يظل الأدب ينظر إلى التاريخ باعتباره مادة خام يمكن الاستفادة منها لتجسيد عمل أدبي متخيل, والدليل على ذلك تلك الروايات التي أبدعت وكان التاريخ مادتها[3]"، ولو انعطفنا إلى مدى اشتغال النقاد المغاربة بالنقد

---

[1] -المرجع السابق, ص19

[2] -طارق سعيد,أين ينتهي التاريخ ويبدأ الأدب؟ الشرق الأوسط. الاثنين 4ذو القعدة 1439 – 16 يوليو 2018, العدد 14475

تاريخ الزيارة: 2021/10/10. https://aawsat.com

[3] - م.ن, الموقع نفسه.

التاريخي, لوجدنا اهتماما بالغا, وحفاوة كبيرة لاستقبال هذا النوع من النقد الذي يهتم بالعوامل الخارجية (السياقية) التي تحيط بالنص الأدبي, ويعّد كتاب الناقد المغربي محمد بن تاويت[1] التطواني من الرواد في النقد المغاربي الذين طبقوا خطوات المنهج التاريخي في تتبع الظواهر الأدبية من خلال كتابه الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى. وقد أرخ فيه للأدب المغربي تبعا له لعهود الدول المتعاقبة, واستعرض حياة الأدباء وبتقويم إنتاجاتهم الأدبية, ليس فقط من خلال المعلومات التي يوردها عنهم, ولكن انطلاقا من بعض الملاحظات في النواحي الفنية والبلاغية. يصنف الناقد شكري فيصل[2] الدراسات التاريخية للأدب الغربي إلى:

أ- نظرية تقسيم مراحل الأدب إلى عصور تابعة للحياة السياسية ولأحداث التاريخية الكبرى.

ب- نظرية الفنون والأنواع الأدبية التي تقوم على ملاحظة الفروق الموجودة بينها وتتبع التطوّرات الحاصلة فيها.

ت- نظرية المذاهب التي تعني بدراسة الأدب والتاريخ له وفق المذاهب الفنية الغالبة لدى مجموعة من الأدباء مهما كانوا متباعدين في الزمان والمكان.

ث- النظرية الإقليمية: التي تدعو إلى دراسة الأدب بحسب البيئات والأقاليم التي نشأ فيها.

ولو عدنا إلى النقد المغاربي الحديث الذي تبنى المنهج التاريخي في دراسته للأعمال الأدبية نجد:

---

[1] - محمد بن تاويت التطواني, كاتب ومؤرخ وأستاذ وباحث, ولد بتطوان(1993/1917), من أعماله: تاريخ سنته, تاريخ البلاغة العربية, ابن زيدون, تاريخ دولة الرستمين أصحاب تامرت.

[2] -شكري فيصل, مناهج الدراسة الأدبية في الأب الغربي, عرض نقد,واقتراح, دار العلم للملايين, بيروت, ط4, 1978.

1- كتاب الوافي بالأدب الغربي في المغرب الأقصى لمحمد بن تاويت التطواني[1], وقد حرص من خلال هذا الكتاب على تحديد مظاهر التطور فيه على الترتيب الزمني ومراعاة العوامل الخارجية في دراسة الأعمال.

وفي مسار البحث عن الظواهر الأدبية واللغوية التي ميزت العديد من النصوص المغربية, اهتم بكشف النقاب عن مجموعة من الحقائق أهمها التكامل بين المشرق والمغرب وأكد أن المغرب العربي, مع ما تعرض له من فرنسة مدة تزيد عن ربع قرن, عرض جميع الأنواع الأدبية التي عرفها المشرق العربي من مقال أدبي وقصة وأقصوصة ومسرحية وشعر كما أن المغاربة لم يقلوا عن المشارقة متانة وعذوبة في اللفظ, وقد أبدعوا في النشر إبداعهم في الشعر.

ـ عبد الله كنون في كتابه "النبوغ المغربي في الأدب العربي (1908-1989), نشر الكتاب 1934 إبان المرحلة الاستعمارية, ويقع في ثلاثة أجزاء وهي:

أ- القسم الأول: ويعرض مراحل السلاطين والأسر الحاكمة, بدءا من عصر الفتوحات ثم الأدارسة إلى العلويين. ومن خلال هذه الفترات التاريخية يتم البحث عن الأدباء والفقهاء والشعراء الذين عاصروا كل هذه الحقب.

ب- القسم الثاني: التفصيل في ذكر حياة الأدباء, والفقهاء والشعراء.

ت- القسم الثالث: وضمّ أنواعا شعرية ونثرية أدبية كالرسائل والمقامات والفخريات والمحاضرات.

ومن النّقاد الجزائريين الذين خاضوا مسار تبني المنهج التاريخي في الدراسة.

[1] - محمد بن تاويت التطواني, وهو كاتب مؤرخ وأستاذ وباحث ولد بتطوان المغربية1917, وتوفي 1993, له العديد من المؤلفات: تاريخ سبتة , تاريخ البلاغة العربية, تاريخ دولة الرستميين أصحاب تهارت وغيرها.

- صالح خرفي[1] : اعتمد الناقد والمؤرخ والشاعر الجزائري صالح خرفي المنهج التاريخي في كتاب شعراء الجزائر 1929, حي عرض مجموعة من الشعراء وبحث في سيرهم مبينا بيئتهم الاجتماعية وظروف إبداعهم.

2- أبو قاسم سعد الله[2]: من خلال كتاب تاريخ الجزائر الثقافي, حيث استعرض المؤلف الأشكال الثقافية التي تتقاطع مع الأجناس الأدبية كالرحلة وفن الخطابة وغيرهما من الأجناس الأدبية، وقد خصص في كتابه الثاني دراسات في الأدب الجزائري الحديث الذي صدر سنة 1965, تطبيقات عن المنهج التاريخي عندما استعرض مسار الحركة الأدبية والإبداعية مبينا الصعوبات والعراقيل التي تعرض لها الأدباء وحالت دون تقديم مادة إبداعية عميقة .

3- عبد الله ركيبي[3]: يعد كتابه تطوّر النثر الجزائري من بين المؤلفات التي ارتكز على المنهج التاريخي في تحديد العوامل التاريخية التي أنتجت الأشكال النثرية الأدبية في الجزائر. أما في الأدب التونسي فبرز المؤلف البارز تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر يهتم بالفترة الزمنية الممتدة 186-1985, حيث اعتمد مؤلف الكتاب المنهج التاريخي في تقصي واستقصاء الظواهر الأبية, وقد مشت الدراسة – تقريبا- كل جوانب الأدب التونسي الفصيح والشعبي وبمختلف حقبه التاريخية, وقد عرض الكتاب جانبا من الأدب التونسي المكتوب باللغة الفرنسية.

4- أما في موريطانيا فبرز كتاب تاريخ الأدب الموريتاني للكاتب والمفكر الموريطاني أحمد بن حبيب الله, وهي دراسة ضخمة صدرت سنة 1996 بدمشق.

---

[1] - وهو مفكر زمؤرخ, وشاعر جزائري من مواليد ولاية غرداية 1932, له العديد من المؤلفات في الشعر و الإسلاميات والنقد, والأبحاث والدرسات.

[2] - أبو القاسم سعد الله: مؤرخ وأديب جزائري من مواليد1930 بالوادي توفي 2013.

[3] - عب الله ركيبي: أديب وسياسي وكاتب جزائري، وهو من الجيل المؤسس للادب الجزائري ولد 1928 وتوفي 2011.

المحاضرة الخامسة :تلقي النقد المغاربي للنقد النفسي

يستقي النقد النفسي في الأدب آلياته من نظرية التحليل النفسي التي أسسها الطبيب النمساوي سيغموند فرويد فسّر على ضوئها السلوك البشري الذي منبعه الأساسي منطقة اللاوعي (اللاشعور), ومثلما ننقل هذه الرغبات النفسية في شكل أحلام يمكن للكاتب المبدع أن يجسدها في شكل أعمال إبداعية (شعر, رسم, موسيقى..), وبالتالي "يخضع النقد النفسي النص الأدبي للبحوث النفسية ويحاول الانتفاع من النظريات النفسية في تفسير الظواهر الأدبية, والكشف عن عللها وأسبابها ومنابعها الخفية وخيوطها الدقيقة ومالها من أعماق وأبعاد ممتدة[1]" يعد سيغموند فرويد "أول من أخضع الأب للتفسير النفسي, كان شغوفا بقراءة الآثار الأدبية, شديد الإعجاب بالشعراء والأدباء, لأن الشاعر عنده رجل تراوده الأحلام في اليقظة كما تراوه في نومه, ولقد وهب أكثر من أي إنسان آخر, القدرة على وصف حياته العاطفية وهذا الامتياز يجعل منه في رأي فرويد, صلة وصل بين ظلمات الغرائز ووضوح المعرفة العقلانية المنتظمة "[2]

لقد رسم فرويد الجهاز النفسي الباطني إلى ثلاث مستويات:

1- المستوى الشعوري: cinscient
2- مستوى ما قبل الشعور préconscient
3- اللاشعور: L'inconsciene

وقد قابل هذه المستويات إلى ثلاث عناصر متصارعة، من خلالها تقوم نظرية التحليل النفسي:

1- الهو (Le cas) : ويمثله الجانب البيولوجي
2- الأنا (Le moi): ويمثله الجانب السيكولوجي أو الشعوري

[1] -يوسف وغليسي, مناهج النقد الأدبي,ص21.

[2] أحمد حيدوش, الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, ص14.

3- الأنا الأعلى (Le sur moi): ويمثله الجانب الاجتماعي أو الأخلاقي.

ـ الناقد الجزائري أحمد حيدوش وبدايات النقد النفسي في الجزائر.

لقد ظهر النقد النفسي في الأدب الجزائري متأخرا عن النقدين التاريخي والاجتماعي،"وذلك لعدّة اعتبارات أهمها أولوية التاريخي والاجتماعي في مجتمع خرج لتوه من ظلمة استعمار دامس واختار لنفسه الاشتراكية دربا سياسيا, فكان من الطبيعي أن يحذو الأدب حذو السياسة فيآزرها ويعضدها بما أتيح له من رؤى ومناهج ونظريات "[1] وقد بدأ المنهج النفسي في النقد الأدبي الجزائري الحديث, مع أحمد حيدوش, الذي يعتبر من أوائل النقاد الذين اشتغلوا على آلياته. من خلال دراسته " الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث 1983, وهي رسالة ماجستير تقدم بها إلى جامعة بغداد, وطبعت 1990, وتوالت دراساته حول هذا المنهج من خلال:

- دراسة تطبيق: شعرية المرأة وأنوثة القصيرة -2001
- دراسة معنوية: إغراءات المنهج وتمتع الخطاب.[2]

هذا وسار الناقد الجزائري عبد القار فيدوح على درب أحمد حيدوش في التأثر بالنقد النفسي الغربي من خلال دراسة معنوية : النفسي في نقد الشعر العربي[3]:

ـ حسن المودن ورؤيته الجديدة للتحليل النفسي.

حسن المودن أكاديمي وناقد ومترجم مغربي من النقاد المغاربة القلائل الذين اهتموا بالتحليل النفسي للأدب وفق رؤية معاصرة، من خلال العناوين الآتية:

ـ لاوعي النص في روايات الطيب صالح قراءة من منظور التحليل النفسي[4]

---

[1] - رندي محمد, علي ملاحي, النقد الأدبي المعاصر في المغرب العربي وقلاته المنهجية, الاتجاه مجلة فصل الخطاب, المجل الخاص العدد 19, سبتمبر 2017, ص102.

[2] - أحمد حيدوش, شعرية المرأة وأنوثة القصيرة, منشورات اتحاد الكتاب العرب, مشق, 1, 2001.

[3] -عبد القار فيدوح, الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي, دار صفاء للنشر والتوزيع, عمان, 1998.

[4] -حسن المودن, لاوعي النص في روايات الطيب صالح قراءة من منظور التحليل النفسي, المطبعة والوراقة الوطنية. مراكش, المغرب, ط1, 2002.

- الكتابة والتحوّل[1]
- الرواية والتحليل النصي, قراءات من منظور التحليل النفسي.[2]

هذا وقد خاض الناقد المغربي حميد لحميداني مجال النقد النفسي من خلال دراسته التطبيقية النقد النفسي المعاصر, تطبيقاته في مجال السرد.

هذا وتشير العديد من الدراسات النقدية الإحصائية غياب النقد النفسي في الأدب التونسي, ونكاد نقف عند عدد محدود من المقالات النقدية كتبها الناقد التونسي حسين الواد من مثل مقاله في التعامل النفساني مع الإثارة الأدبية, وهو مقال منشور في دراسته المعنوية, في مناهج الدراسات الأدبية" .

ومن خلاله حاول الناقد " أن يكشف عن علاقة علم النفس بالأدب من خلال نظريات فرويد وأطروحات شارل مورون التي حاولت أن تقدّم قراءة جديدة قراءة جديدة للآثار الأدبية[3] ". هذا وحاول الناقد عبد السلام المسدي أن يسلط الضوء على المنهج النفسي في نقد الأدب من خلال مقاله: الشابي بين المقول الشعري والملفوظ النفسي'.'[4] وفي سياق الحديث عن النقد النفسي, رفض الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض، القراءات النفسية التي وصفها بالمريضة المتسلطة, فراح في دراسته (القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي) يصبّ جام غضبه على المنهج النفسي القائم على افتراض مسبق يتجسد في مرضية الأديب, وإذن مرضية للأدب, بل أدبية مرض, فكأن هذا التيار لا يبحث إلاّ عن الأمراض, فإن لم تكن، توهمها توهما.. لكي يبلغ غايته التي تتجسد في التماس الأعراض

[1] -حسن, المودن, الكتابة والتحوّل, منشورات اتحاد الكتاب العرب, المغرب, ط1, 2001.

[2] - حسن المودن, الرواية والتحليل النصي, قراءات من منظور التحليل النفسي, الار العربية للعلوم ناشرون, لبنان, 2009.

[3] - رندي محمد, علي ملاحي النقد الأدبي في المغرب العربي وتحولات المنهجية,ص104.

[4] - عبد السلام المسدي, الشابي بين المقول الشعري والملفوظ النفسي, مجلة فصول الهئة المصرية العامة للكتاب, المجلد1, العدد02, السنة1981.

والأمراض ما ظهر منا وما بطن(...) والتي يجب أن تفارق الأديب الأدب وتلازمه، فكل أديب – من جهة نظر هذا التيار مريض, وإذن فكل أدب نتيجة لذلك مريض أيضا'.'[1]

[1] - عبد الملك مرتاض, مجلة (تجليات الحداثة), جامعة وهران, عدد04, 1996,صص8-19.